﴿سلسلة خطب الجمعة﴾

لفضيلة الشيخ
مصطفى العدوي

-حفظه الله-

الخطبة بعنوان:
إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ

بتاريخ [4-10-2013]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الخطبة بعنوان:

إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ

****

الخطبة الرابعة:

الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا، ولم يكن له شريكٌ في الملك، وخلق كل شيءٍ فقدره تقديرًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يُعز، ويذلُ، ويكرم، ويهين، ويميت، ويخفض، ويرفع، ويغني، ويقني، ويضحك، ويبكي -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، عُز العزيز بقدرته، وذُل الذليل بقدرته، ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: 107]. يرفع أقوامًا ويخفض آخرين، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- أرسله الله بالحق بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، فأدى الأمانة حق الأداء، وبلغ الرسالة حق البلاغ، فجزاه الله عنا خير ما جازى نبيًا عن أمته، ورسولًا عن دعوته ورسالته، نسأل الله أن يؤتيه سؤله، وأن يؤتيه الوسيلة والفضيلة، وأن يبعثه مقامًا محمودًا الذي وعده.

إخواني بارك الله فيكم، في ظل هذه الفتن التي تمر بها أمة محمدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وفي هذه التقلبات التي ترونها، لابد من البحث عن أسباب السلامة والثبات والأمان، ولا سلامة ثبات، ولا إيمان إلا بالاستضاءة بكتاب الله سبحانه، وسنة رسوله الأمين محمد، -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-، فقد قال تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى﴾ [طه: 123]. ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا (124)﴾ [طه: 124]. وقال تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾ [طه: 123]. ﴿فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: 13]. وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ﴾ [الأنعام: 104]. وقال جل ذكره ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: 15].

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (16)﴾ [المائدة: 16]. فكان لزامًا لمريد النجاة، أن ينظر في كتاب ربه -جَلَّ وَعَلَا-، وفي سنة نبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-، باحثًا عن أسباب السلامة، وعن أسباب النجاة، وعن أسباب الشفاء إذ الله قال: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (82)﴾ [الإسراء: 82]. فمن أسباب الأمان والثبات، والتي أُخذت من كتاب الله أن نسأل الله ذلك، وهذا أول مطلبٍ وأخره، أن نسأل الله الثبات على الإيمان، فلا مُثبت إلا بتثبيت الله له، وإذا كان رسولنا يدعو ويُكثر من الدعاء: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك». وهو سيد ولد آدم، فكان لزامًا أن نسأل الله ذلك، فإن الشخص منا لا يملك أمر نفسه، «والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، يقلبها كيف يشاء». فكان من الجدير بمريدِ الثبات، أن يسأل ربه دومًا: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك». يسأل ربه كما سأله أولو الألباب: «ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا من لدنك رحمة أنك أنت الوهاب».

فكما سلف الشخصٌ مهما علا قدره، لا يملك أمر نفسه، وإذا كان الخليل إبراهيم خير البرية إمام التوحيد يسأل ربه الثبات، ويخشى على نفسه من أن يكون عابدًا للوثن فيقول: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ [ابراهيم: 35]. ويخشى أن يتحول لتاركٍ الصلاة، فيقول: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (40)﴾ [ابراهيم: 40]. هكذا يخشى الخليل على نفسه، يخشى أن يرهب الأصنام يومًا من عمره، فيقول ﴿وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ [الأنعام: 80].

ويعقوب أيضًا يخاف هذا على بنيه، فيقول لهم عند حضور الوفاة: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ [البقرة: 133]. يسألهم سؤالًا ويوصيهم وصية: ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 132]. ﴾ [البقرة: 132].

والصديق يوسف -عَلَيْهِ السَّلَامُ- يخشى على نفسه فيقول: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: 101]. فهذا أول مطلبٍ علينا جميعًا أن نسأل الله الثبات، مطلبٌ عزيزٌ، ونعمة عظيمة، أن تكون سامعًا مطيعًا لله، يا لها من نعمة! إذا كنا سامعين مطيعين لله، قال الخليل إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وولده صادق الوعد إسماعيل -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [البقرة: 128]. أي يا ربنا اجعلنا مطيعين لك، مستسلمين لك، خاضعين لك، راضيين بقضائك وبقدرك بكل تفتضيه، معنى كلمة الإسلام.

فعلينا جميعًا بذلك أيها الإخوة، ومع ذلك لابد من النظر أيضًا في كتاب الله للبحث عن الأسباب والوسائل، ومن ذلك الوقوف على سِير أهل الفضل وأهل الصلاح، لا على سير أهل الشر والفساد، لا على سِير أهل الإجرام، إنما نبحث عن سير أهل الفضل والصلاح للإتساء والاقتداء، وإذا ذكرنا قصص أهل الشر والفساد فللإدكار والاعتبار، فبنظرنا في كتاب ربنا، وبنظرنا في سنة نبينا، -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-نرى أُسوةً حسنة نأتسي بها، يأتسي بها شبابنا، ويأتثي بها شيوخنا، ويأتثي بها أطفالنا، وتأتثي بها نساؤنا وبناتنا، فالإسوة الحسنة لها أثرٌ عظيم على متبعها.

فإذا نظر شبابنا إلى قصص الأنبيَاء عليهم السلام، والفتية المؤمنين، وجدوا الخليل إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- منذ صباه وهو فتىً ينظر فيما حوله، ما الذي يصنعه القوم؟ ولا يقلد تقليد العميان، بل يقف متسائلًا متفكرًا متدبرًا فيرى ما حوله، يرى أصنامًا تُعبد من دون الله، يسألها السائلون يسجد لها الساجدون ويركع لها الراكعون، ويهابها المتخشعون لها، رفض هذا، وذكرها بسوءٍ تلك الأصنام، ذكر أنها لا تنفع ولا تضر، وآثر طاعة ربه: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (81) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (82) رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (83)﴾ [الشعراء: 78-83].

فيفارق القوم، وإن كانوا كُثر سائلًا الله الثبات، ويقدم في ذلك كل ما استطاع، وما هو فوق طاقة البشر، يُفعل بإبراهيم، فيؤثر الإلقاء في النار على المداهنة في الدين، يُؤثر أن يلقى في النار وقد اضرمت، ويوضع في المنجنيق، ويقذف به في

وسط الجحيم، وهو ثابتٌ لا يتردد -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-،علم وقد خصه الله وآلهُ بشيءٍ أكثر من غيرهم: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ﴾ [ص: 46]. ما الخالصة؟ وما الميزة؟ ﴿ذِكْرَى الدَّارِ﴾ [ص: 46]. ذكر أي تذكر الدار الآخرة، فهانت عليه الدنيا كلها بما فيها، من بلايا وأفراحٍ واطراح، فآثر مرضات الله عز وجل، على الدنيا الفانية، كأنه كان يرى الآخرة رأي عينٍ، كأنه يرى أهل الجنة في الجنة يتزاورون، وأهل النار في النار يتألمون ويصيحون، فحمله ذلك على الثبات على طاعة الله فآثر أن يلقى في النار، وقد أُلقي وجعلها الله عليه: ﴿ بَرْدًا وَسَلَامًا (69)﴾ [الأنبياء: 69]. عليه صلوات الله وسلامه.

وفي كبره لشيوخنا، يأتيه الأمر وهو ابن ثمانين بالاختتان، وليس هناك بنجٌ يُبنج به، وهو ثمانين ابن ثمانين سنة، يأتي بالقدوم آلة النجار، ويقطع بها الجلدة من جسمه، بالشاكوش، بالقدوم كما قال الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وهو ثابتٌ صابرٌ محتسب، ويأتي ولده لشبابنا، يأتي ولده إسماعيل، يقول له أبوه: ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: 102]. وقد جاءه إسماعيل بعد طول عمرٍ من عدم الإنجاب، فأكثر حياة الخليل لم ينجب، انجب عند الكبر: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (39)﴾ [ابراهيم: 39]. وما مرت إلا سنوات قصيرات، وإذا به يؤمر بذبح الولد، فيقول لولده الذي تربى في بيت طاعةٍ كريمٍ، ﴿ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ فيقول: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: 102]. افعل ليس ذبحي فقط، بل كل ما يأمرك الله به امتثل له يا أبي، لا تخالف أمر ربك يا أبي، ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي﴾ [الصافات: 102]. ليس بحولي ولا قدرتي ولا قوتي، ولكن: ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: 102]. هكذا فعل هذا الغلام، الغلام آنذاك صادق الوعد.

وبالتطواف في كتاب الله، -عَزَّ وَجَلَّ- نرى الصديق يوسف، شابًا نشأ في طاعة الله، دعته امرأةٌ ذات منصب وجمال، فقال: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ [الحشر: 16]. نرى عزيزًا على مصر من المحسنين، في السجن محسن، وهو عزيزٌ على مصر محسن، وفي بيت العزيز محسن، في كل مكان مبارك على قومه، ليس بشؤمٍ على أهل بلده، وليس بشؤمٍ على أصدقائه، إنما مباركٌ أينما كان، بالتطواف في كتاب الله، وليت شبابنا يفعلون وهم يقرأون سورة الكهف: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: 13]. فتية ليسوا كفتيان زماننا، الذين هم أقرب إلى التأنث والتخنث إلا من رحم الله، فتيةٌ أعني أصحاب الكهف، كما وصفهم الله: ﴿آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾. وجدوا أقوامهم في شرك، ويذكر فريق من المفسرين، أن هؤلاء الفتية كانوا من أسرٍ كبيرة في البلاد، فالله أعلم بذلك، لكن على آية حال فتية رزقهم الله إيمانًا، شباب ليسوا بالشباب الكبار، إنما فتيةٌ في مستقبل حياتهم، رُزقوا إيمانًا ففكروا فيما يصنعه أقوامهم، ما الذي عليه القوم؟ رأوا شركًا وباطلًا، رأوا أوثانًا وأصنامًا، فآثروا السلامة والإيمان، وأعلنوا عن هويتهم، قائلين: ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ

آلِهَةً﴾ [الكهف: 15]. بعد أن قالوا: ﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ (14)﴾ [الكهف: 14]. ربنا الذي يُعبد ويُدعى ويُرجى ويُسأل.

﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: 14]. لن نعبد غيره، إذا عبدنا غير قد افترينا الكذب، وآتينا بقولٍ شطط بعيد عن الحق غاية البعد: ﴿هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (15)﴾ [الكهف: 15]. هكذا جهروا بمنهجهم، وأنهم رفضوا تلك الأوثان، والأوساخ التي هي الرجس، من الأوثان، أعلنوا عن هويتهم، أعلنوا عن عبادتهم لربهم، سُمع خبرهم، فأتت بهم الشرط إلى ملك زاك الزمان، وخيرهم بين الرجم، وبين الرجوع، عما هم عليه، إما أن يرجعوا عن إيمانهم، وإما أن يرجموا، وهم فتيةٌ صغار، ليس لهم كبير تجارب في الحياة، لكنهم عرفوا ربهم، وقُذف في قلوبهم الإيمان فلم يعد أحدهم يبالي بدنيا فانية، إنما يؤسس لمستقبله الحق، للدار الآخرة، التي هي الحيوان، أي الحياة الدائمة الباقية، لو كانوا يعلمون، خيرهم ملكهم، إما أن يرجموا، وإما أن يرجعوا إلى دين أقوامهم، وأمهلهم، اجتمعوا فيما بينهم، وقرروا بتوفيق من الله لهم الثبات على الإيمان، والفرار من البلاد التي يُعبد فيها غير الله، فلما استجن عليهم الليل، فارقوا البلاد في طريقهم لعبادة ربهم، في أي مكان نزلوا، وفي أي بلدة حلوا: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (56)﴾ [العنكبوت: 56].

خرجوا من بلادهم، فمروا في طريقهم، كما يقول العلماء براعٍ يرعى الغنم، فذكروا له شأنهم ودعوه إلى الله، فلم يمنعهم ما هم فيه من الدعوة إلى الله، فاعجب بقولهم وآمن معهم، وترك أمر أغنامه لأصحابها مؤثرًا السلامة في آخرته، فذهبوا إلى كهفٍ جعله الله آيةً، دخلوا الكهف ناموا فيه، ضرب الله عليهم النوم سنوات، وكما قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ [الكهف: 17]، أي تتمايل عن كهفهم ذات اليمين، حتى لا يصاب بحرها ﴿وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾ [الكهف: 17]. ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف: 18]. قذف الله الرعبَ في قلب كل من يراهم، إذا اطلع عليهم مُطلع يمعن في الفرار، أعينهم مفتوحة وهم نيام، ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾. فيقذف الله الرعب في قلب من يفكر في المجيء إليهم، ناموا يرحمهم الله رضي الله عنهم، أما القوم هنالك فهم يبحثون عنهم أشد البحث، ويرصدون الجوائز لمن أتى بهم أحياءً، أو أمواتًا، كل جائزة رُصدت، وتتضاعف الجوائز، يومًا بعد يوم، وأهله يبحثون، والكل يبحث، ﴿وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: 42]. مات الملك بعد سنوات، ومات القوم كلهم، وانقرض القرن، وأتى بعده قرنٌ، وأتى بعده قرن، ﴿ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [الكهف: 25]. فاستيقظوا على موعدٍ، وعلى قدرٍ فاستيقاظهم مقدر، بل وكل الأمور مقدرة، لن يأتيك رزقٌ إلا بقدر.

وكما قال تعالى: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ [طه: 40]. استيقظوا بعد هذه المدة التي قدرها الله، فعلى كل شخص أن يذكر أن الأمور تجري عند الله بمقادير،

والفرج يأتي بمقدار، ولن يتزوج شابٌ، إلا في الوقت المقدر، ولن يموت ميت إلا في المقدر، ولن يكشف كربٌ إلا في الوقت المقدر، كل الأمور تجري في مقادير، استيقظوا، أيقظ بعضهم بعضًا، بدأ التساؤل، قال قائلٌ منهم ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ [المؤمنون: 112]. ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [المؤمنون: 113]. إما إننا نمنا طول النهار، أو بعضًا من النهار، يومًا أو بعض يوم، ولكن ليس من شأنهم إضاعة الوقت، ولا الجدل، ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ [الكهف: 19]. ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾ [الكهف: 19]. طلبوا الطعام الحلال وهم في الكهف، طلبوا الطعام الطيب غير المشبوه، علموا أن الطعام الخبيث لا تتقبل معه الدعوات، أن الطعام الذي اشتري بمال حرام لن تقبل معه الدعوات، ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ﴾ الفضية، هي أموالكم، الحلال لكم إلى المدينة، ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾، أي أطيب طعامًا، لا يأتي بطعامٍ مشبوه.

وهكذا علينا أن نُطيب الطعام، إذا رفعنا أيدينا سائلين الله تقبل الله دعائنا، أما الذي يرفع يديه: «ملبسهُ حرامٌ مشربه حرام، غذي بالحرام، مطعمه حرام أنىَ يستجاب له؟».

﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ [الكهف: 19]. يمشي برفق، أخذًا بالأسباب، ﴿وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: 19]. لماذا؟ ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ [الكهف: 20]. إن يطلعوا عليكم ﴿يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (20)﴾ [الكهف: 20]. لن تفلحوا أبدًا، إذا عدتم إلى ملة الكفر، فخرج الخارج، ذهب الذاهب بالأموال التي معه، التي ضربت عليها، صورة ملك ذاك الزمان، ذهبوا، ذهب يشتري، فإذا بمعالم المدينة متغيرة، والشوارع غير الشوارع، وأشكال الناس غير تلك الأشكال، التي أعيدها، والطريقُ غير الطريق، ولكن ليس ثَم بُدٌ من أن يشتري طعامًا فذهب إلى صاحب محل، على ما ذكر في الإسرائيليات يشتري الطعام، فنظر الرجل إلى العملة عملةٌ ليس عملة تلك البلاد، وشابٌ لم يره من قبل من أين أتيت بهذه العملة؟ هل وقفت على كنزٍ؟ من أين أتيت بالكنز؟ أخبرنا الفتى يقول: ما لي وحلالي؟ ما سرقت ولا وجدت كنزًا، الرجل ينظر متعجبًا، والولد يُصر على رأي ويتعجب مما حوله، فذهب به إلى الشُرط رفعوه إلى الملك، فرأى ملكًا غير ذاك الملك، وفي الإسرائيليات أنه دقيانوس، فنظر إليه الفتى، أأنت لست الملك ، دقيانوس فصاح الجميع، دقيانوس ماذا تقول؟ أيها الفتى عاقلٌ أنت أم مجنون؟ قالوا: دقيانوس ماذا يقول؟ لقد هلك دقيانوس منذ ثلاثمائة سنة، فتعجب الجميع، والفتى أشد تعجبًا مما حدث، فقال بعض المؤرخين قد كان في زمن هذا الملك فتية، فروا بدينهم إلى أرضٍ عجزوا عن الإتيان بهم، فمن أنت؟ أرشدنا إلى مكانك، فذهبوا كلهم في موكبٍ حافلٍ عظيم إلى ذلك الكهف، أستأذنهم الفتى أن يدخل على إخوانه حتى لا ينزعجوا، أذنوا له فدخل فأماتهم الله جميعًا، حتى لا يكونوا فتنة، لا يَفتنوا ولا يُفتنوا، تشاور القوم في أمرهم، دخلوا عليهم ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ [الكهف: 21].

ضُربوا مثلًا لقدرة الله، على الإحياء بعد الإماتة، فربُنا فعالٌ لما يريد، فليذكر شبابنا هؤلاء الفتية أهل الصلاح الذين آثروا مرضاة ربهم على دنياهم، الفانية، الزائلة، ليذكر شبابُنا ، يحيى الذي أوتي الحكم صبيًا وفي الأثر أن الشباب قالوا له صبية: يا يحيى تعال نلعب، فيجيب ما للعب خُلقنا، وفي ذلك قال تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: 12]. لينظر شبابنا إلى أسوة حسنة إلى معاذ ومعوذ، ابناَ عفراء يوم بدر، وهما غلامان صغيران، قال عبد الرحمن بن عوف: وقفت يوم بدر انظر من عن يميني من المقاتلين المسلمين، ومن على شمالي، فرأيت غلامين لا آمن على نفسي من ناحيتهما، فإذا جاءني عدوٌ عن اليمين لن يغنيَ عني شيئًا، ولكن وما هي إلا لحظات، فجاء معاذ يقول وهو بن عفراء: يا عمي دُلني يا عمي على أبي جهل، فقد بلغني أنه يؤذي رسول الله، -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فأشار إليه وجاءه الآخر بمعزلٍ عن أخيه، يقول نفس المقولة فأشار إليه، فانقض على أبي جهلٍ في الحال كالصقرين، فضربه حتى أسخناه وأسقطاه -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا- شبابٌ ليسوا كشبابنا، فجديرٌ بشبابنا أن يبحث عن الإسوة الحسنة التي يتأسى بها، كي يُقيم دينه، كي يستعد للقاء الله، فمن وسائل الثبات البحث عن الرفقة الصالحة، التي تُعينك على الطاعات، وتذكرك بالخيرات، كما قال الكليم، -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، ﴿هَارُونَ أَخِي (30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (31) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (32) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (33) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (34) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (35)﴾ [طه: 30-35].

فجديرٌ بنا أن نبحث عن رفقةً صالحة تذكرنا بالله، إذا غفلنا، تذكرنا بوصل الأرحام إذا قطعناها، تذكرنا ببر الوالدين إذا صدر منا العقوق، فإذا كان صديقك صالحًا من الصالحين، وحيدت عن الطريق مع والديك، رفعت الصوت عليهما، جاءك الصديق الوفي مذكرًا اتق الله، أنت مرتكبٌ لكبيرة، فالعقوق كبيرة، ﴿فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: 23]. فتفيئ إلى عقلك، إلى رشدك، إلى ديانتك، إلى إيمانك، إذا كنت قاطعًا للرحم وجاءك الصديق الحميم، تعال معي زياره نزور عمي، فقد تأخرت عن زيارته، فتشت في نفسك، وأنا عمي، منذ سنوات لم أزره، فتفيئ إلى وصل الأرحام، فقطعوها كبيرةٌ من أشد الكبائر.

أيها الإخوة، من وسائل الثبات كما سمعتم انتقاء الأصدقاء الصالحين أنتقي أصدقاءك انتقاءً، لا تجلس مع كل شخص أبدًا، اجلس إلى من ينفعك في دينك، اعرض عن من يضرك في دينك، لا تجلس مجالس اللغو التي تسود صحيفتك يوم تلقى ربك، إن العالم الحَبر الجليل علي بن الحسين زين العابدين، كان يترك مجالس السادات من قومه، ويذهب إلى مجلس علم، لزيد بن اسلم مجلسٌ عليه المهابة فيه أربعون عالمًا تسمع منهم دررًا وفوائد، فعاتبه قومه يا علي أنت إمام من آل بيت النبوة الطاهر تطرق مجالس سادات قومك من بني هاشم، ومن قريش وتذهب لعبد لعمر بن الخطاب، تتعلم منه فيقول مجيبًا: "المرء يجلس إلى من ينفعه في دينه".

فانظروا أيها الإخوة إلى أصدقائكم، الذي تقربكم من الله معرفته، استمروا معه في صداقته، الذي يصرفكم عن طريق الله، فابتعدوا عنه، وكما قال القائل:

واحذر مصاحبة اللئيم فإنه كما يُعدي الصحيح الأجرب

فهذه عدوى تأتيك بلاياها، من أصدقاء السوء، فمن وسائل الثبات أن تبحث عن رفقةً صالحة، تأخذ بيدك في طريقك إلى الله-سُبْحَانه-حتى تنقضي الدنيا الفانية السائلة على خير وعلى إيمانٍ، فإذا انقضت فكما قال تعالى: ﴿الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (67)﴾ [الزخرف: 67].

أيها الشاب أنقذ نفسك، وحافظ على طاعة الله منذ صباك، فكم من شيخ كبير بيننا يتمنى أن لو رجع إليه شبابه؛ كي يطيع ربه، كي يصلي صلاة الليل، كي يصوم صوم النفل، فاغنم شبابك قبل هرمك، وحياتك قبل موتك اغنم صحتك قبل مرضك، اغنم ذلك، أيها الشاب اغنم ذلك، وأقبل على طاعة الله، وطاعة رسل الله، فإن الله قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: 64].لا تجعل كلام الله، وكلام رسوله محل اختيار لك، بل أنت ملزم ما دمت عبدًا لله، أن تطيع سيدك، أن تطيع ربك، أن تطيع رسولك، فاقرأ كتاب ربك وتأدب بآدابه، اقرأ ولا يغتب بعضكم بعضًا، واحرص على أعراض المسلمين، ولا تلوك أعراضهم بلسانك، اقرأ قول ربك، ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: 30]. فلا ترسل بصرك إلى بنات الناس، والذي ترضاه لأختك أرضاه لبنات الناس، فكما أنك تحب أن تُحترم اختك وأن توقر فحافظ على بنات الناس، فكما تدين تدان، فلا تذهب فتاة بلبك، ولا بعقلك، ولا تضيعن حياتك جاريًا وراء فتاة تأخذ بعقلك وتأخذ بلبك، بل استقم على طاعة الله، ووالله ثم والله، ثم والله لقد مر بنا من العمر ما مر وما وجدنا أسعد من طاعة الله، ولا أبرك من طاعة الله، ولا أنفع من طاعة الله، وما وجدنا أضر من معصية الله، ما وجدنا شيئًا يؤلمنا ويؤرقنا ويضر بنا، أكثرٌ من معصية الله، -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فاستقيموا.

لقد كان من سلفكم كالحسن البصري يقول: "والله إني أعلم معصيتي في خُلق امرأتي، وخلق دابتي، أعصي الله، ادخل على الزوجة فأرى حالًا غير تلك الحال، وأرى أمورًا غير تلك الأمور، تقلبت علي زوجتي، ما يحزيني إليها". بسبب معصيتي، من الذي يسلطها؟ الذي يسلطها هو الله، والذي يكف أذاه، هو الله، وأراها في خلق دابتي، الدابة تنفر، تقلبني أو تكاد إذا ركبتها بسبب معصيتي.

أيها الإخوة قال ربنا الأعلى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ (30)﴾ [الشورى: 30].

إن الصحابي أبا أيوب الأنصاري كان ينظر إلى الدملة في يديه فيستغفر، فيتعجب من حوله، كيف تستغفر؟ قال وما يدريني؟ إن الله قال: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ﴾. وما يؤمنني لعلها بذنبٍ أنا ارتكبته ولم اتفطن له.

أيها الإخوة احرصوا على طاعة الله، واحرصوا على مرضاته، ولا يظن ظان، أنه سيعيش أمدًا محددًا، فأنتم ترون الدنيا، وترون المنية، تتخطف الأقوام، هذا يتخطف وهو شاب، وهذا يُتخطف وهو طفل في المهد، وهذا يرد إلى أرزل العمر، لكي لا يعلم من بعد علمٍ شيئًا، وهذه فتاة في سن الخطوبة يأتيها الموت بغتة، فحافظوا على دينكم، وعلى إيمانكم، ولا تسوفوا، وأعلموا أن من سلك طريق الهداية زاده الله هدىً ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: 13].

ألا فاستغفروا ربكم أنه كان غفارًا.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد:

بارك الله فيكم، من أسباب الثبات على الإيمان ذكر الله والعمل، فالله جل ذكره يقول هو أصدق القائلين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (9)﴾ [يونس: 9]. ويقول تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) [الليل: 5-7]. أي من أعطى المال، يبتغي به وجه الله، أو من أعطى الأعمال الصالحة عمومًا، واتقى ربه، وصدق بالثواب وبالجنة، فسنيسره لليسرى، وما معنى فسنيسره لليسرى؟ من معانيها الجليلة القيمة سنهيئه لعمل الخير، نجعل عمل الخير عادةً له، سهلًا عليه جبلةٌ له، فإذا جاءت الصلاة أحب الصلاة، يحب الصلاة، يصوم وهو سعيدٌ لكونه صائم، يتصدق وصدره منشرح لكونه يتصدق، يقوم يُصلي، صدره منشرح، بالصلاة، يسجد في الليل، يطيل السجود وهو سعيدٌ بهذا السجود، فهذا كله من التيسير لليسرى، أي التيسير لعمل الخير، أسبابه: بدايات العمل الصالح التي تصدر منك، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴾. ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى. ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾. أي سنهيئه لعمل الخير، فأذكروا الله ذكرًا كثيرًا، وسبحوه بكرة وأصيلًا، رطبوا ألسنتكم بذكر الله، املؤوا الطرقات والبيوت بذكر الله سبحانه، رطبوا الألسن بذكر الله، فلئن تذكر الله تبيض صحيفتك أولى من أن تذكر فلًانا وفلانًا فتسود صحيفتك.

إذا استيقظت من نومك أبدًا صحيفتك اليومية بطاعات، بصلوات بأذكار، بأدعية يبارك لك في يومك لا تبدئها بعصيان، ولا بتمردٍ على الله، فشاهدي أن من أسباب الثبات الأعمال الصالحة، من ذكرٍ، وبرٍ، وصلاةٍ فدربوا أنفسكم على ذلك، ترتفع درجاتكم وتنصع قلوبكم بياضًا، ويذهب عنها كل غلٍ، وكل حقدٍ، وكل حسدٍ للمؤمنين والمؤمنات، ليحرص أحدكم في الليل البهيم على الذهاب للفقراء والمساكين، وعلى كفالات الأيتام، وعلى التبرع والتصدق لأعمال البر، وفي أعمال الخير، وبين يديكم مجمعٌ يبني، جزى الله من شهد هذا الصرح خير الجزاء، ومجمع طبي به، والله يقول: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 32]. فالذي يحي، الذي يسعى في أن يكون سببًا لشفاء مريضٍ، يثيبه الله ويكرمه الله، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، فأقيموا مجمعكم الطبي، وهذا الصرح العظيم الذي تبث منه عقيدة التوحيد، ويبث منه كتاب الله وسنة رسوله، ابذلوا شيئًا من أموالكم، فالبسوا من الأموال نوع جهاد في سبيل الله، ليس الجهاد فحسب، ضرب بالسيوف، بل الله قال: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (88)﴾ [التوبة: 88].

فابذلوا من أموالكم أموالًا لسد حاجة المعوز الفقير، ولمداواة مريضٍ، ولدعوة إلى الله فإنكم تثابون، ويكفيكم قول ربكم، واحسبكم موقنون به: ﴿وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: 39].

وقول نبيكم -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «ثلاثةٌ أقسم عليهن ما نقص صدقة من مال، وما زاد الله بعبد عفوًا إلا عزًا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله». وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 9]. وابذلوا من أموالكم أموالًا، ومن أوقاتكم أوقاتًا، ومن جهدكم جهدًا لنصرة دينكم، وللتشييد لآخرتكم ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (115)﴾ [آل عمران: 115].

إخواني بارك الله فيكم، لا تنسوا أنفسكم من صالح العمل، لا تكونوا كالذين نسوا الله، فأنساهم أنفسهم، ولا ينسن أحدكم أباه، أو أمه، اللذين ماتَ، بل أوصل إليهما شيئًا من خيرك ما دمت حيًا، «إذا العبد انقطع عمله إلا من ثلاثة، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له». فأبوك هنالك في القبر ينتظر منك، دعوة أن تقول اللهم اغفر لأبي، اللهم ارحم أبي، تقول: ﴿رَبِّي ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ [الإسراء: 24]. أهلوك الذين ماتوا، إخوانك الذين ماتوا ينتظرون منك دعوة صالحة، فلا تضلوا، ولا تبخلوا بدعوة صالحة، لأمواتكم، ولأموات المسلمين، اللهم ارحم أمواتنا وأموات المسلمين، اللهم ارحم أمواتنا وأموات المسلمين، واشفي مرضانا ومرضى المسلمين، وفك أسرنا، وأسرى المسلمين، واقض الدين عنا وعن المدينين، يا رب العالمين، خذ بأيدينا ونواصينا للبر والتقوى، ثبتنا على الإيمان واجعلنا هداة مهتدين يا رب العالمين، هب المسيئين منا للمحسنين، اللهم هب المسيئين منا للمحسنين، اللهم هب المسيئين منا للمحسنين، يا رب العالمين، اللهم يا ربنا ولي الإسلام وأهله مسكنا بالعروة الوثقى حتى نلقاك، اللهم يا ربنا يا ولي الإسلام وأهله، خذ بيدي ولي أمر هذه البلاد للحكم بكتابك وبسنة رسولك -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، ولنفس هذه الديمقراطيات والشعارات الواردة إلينا من دول الكفر يا رب العالمين، اللهم احفظ مصر آمنةً مطمئنة وسائر بلاد المسلمين، وأنجي المستضعفين في سوريا، وفي بورما، وفي غزة، وفي سائر البقاع يا رب العالمين، اللهم يا ربنا صلِّ وسلم وبارك على نبينا الأمين محمد وآله الوسيلة والفضيلة، وابعثه يا ربنا المقام المحمود الذي وعدته.

ألا وأقم الصلاة.

****

- يمكنكم متابعة خطب ودروس الشيخ على الرابط التالي :

https:--www.youtube.com-channel-UCkL2vNPCvXU1niLe7KhKFXg

- رابط الخطبة :

https://www.youtube.com/watch?v=0sSIbMNvoi0&list=PL92HwYx3aJlvJO3ewL3GHuCxcMuOShRNy&index=4

- رابط صفحة الشيخ مصطفى العدوي الرسمية على الفيس بوك :

https:--www.facebook.com-groups-1258020111019067-?ref=share